التفاعل الثقافي بين الجزائر وتونس من خلال كتاب (خمس رحلات إلى الجزائر)

Cultural interaction between Algeria and Tunisia through a book (five trips to Algeria)

د(ة).جميلة سيش [1]

تاريخ الإرسال: 2021/12/20	تاريخ القبول: 2022/04/12	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

تشترك دول المغرب العربي في مقومات جغرافية وتاريخية وبشرية وثقافية وتجمع شعوبها عديد الروابط الحضارية التي تساعد على تحقيق التواصل الفكري والثقافي بين أبنائها الذين تربطهم علاقات تاريخية متبادلة تجسّد بعضها في رحلات الأدباء والباحثين المغاربة إلى الجزائر.

وكتاب (خمس رحلات إلى الجزائر) من المؤلفات التي تمثّل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس وترسم صورة للجزائر بعيون رحّالة جابوا شرقها، وجنوبها الشرقي للوقوف على الأوضاع إبان الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس الهوية العربية الإسلامية وتشويه تاريخ الجزائر وتراثها الثقافي. فكيف حدث التفاعل الثقافي بين البلدين انطلاقا من كتاب(خمس رحلات إلى الجزائر)؟

الكلمات المفتاحية: الجزائر، تونس، الرحلة، الثقافة، التفاعل.

Abstract:

The countries of the Maghreb share geographic, historical, human and cultural elements, and their peoples gather many civilized ties that help to achieve intellectual and cultural communication between their sons who have mutual historical relations, some of which are embodied in the trips of Moroccan writers and researchers to Algeria.

And the book (Five Trips to Algeria) is one of the books that represent the cultural communication between Algeria and Tunisia and paint a picture of Algeria through the eyes of travelers who roamed its east and southeast to

1- جامعة الحاج لخضر - باتنة1- djamila.siche@univ-batna.dz

find out the conditions during the French colonialism, which tried to obliterate the Arab Islamic identity and distort Algeria's history and cultural heritage. How did the cultural interaction between the two countries take place, based on the book (Five Trips to Algeria)?

Keywords: *Algeria - Tunisia - the trip - culture - interaction.*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

المؤلف المرسل: جميلة سيش djamila.siche@univ-batna.dz

مقدمة:

من المعلوم أنّ الرحلة نشاط حيوي رافق الإنسان منذ الأزل فرغبته في استكشاف العالم جعلته يعشق السفر وما يتبعه من حركة وتغير وتنوع في نظرته إلى الكون والوجود من حوله. وقد نتج عن ذلك أدب الرحلات الذي يعطينا صورة صادقة عن الصلات الوثيقة بين المجتمعات، ويبرز التفاعل الحاصل بين الأفراد والجماعات.

ولمّا كانت الجزائر محور اهتمام دول الجوار فقد شكّلت قبلة للرحالة المغاربة وشغلت حيزا لا يستهان به في كتب الرحلات التي أصبحت تشكّل مصدرا لا غنى عنه لمن يريد الاطّلاع على أوضاع الجزائر. وقد وقع الاختيار على هذا الكتاب؛ لأنّه يحمل بين طياته جهود الرّحالة المغاربة في توطيد العلاقات القائمة بين الجزائر وتونس انطلاقا من القواسم المشتركة بين الشعبين من جهة، وتوسيع المعارف حول واقع المجتمع الجزائري من خلال ما أوردوه من معلومات متنوعة عن رحلاتهم المتعددة إلى الجزائر من جهة أخرى، ومن ثمة فهذا المؤلَّف يمثّل مرآة عاكسة للتفاعل الثقافي بين البلدين.

وقد جمع الباحث التونسي (محمد صالح الجابري) هذه الرحلات المتفرّقة في كتاب واحد أسماه "خمس رحلات إلى الجزائر" لينقل لنا صورة الجزائر بعيون خمسة

رحّالة ويصوّر لنا نمط تفكيرهم وطريقة تعاطيهم وتفاعلهم مع مختلف القضايا الثقافية التي وجدوها في الجزائر في الفترة الممتدة من **1904م** إلى **1932م**. وهذه الرحلات هي:

الرحلة الأولى: الرحلة الجزائرية 1904 لمحمد الخضر بن الحسين.

الرحلة الثانية: الرحلة الجزائرية 1922 لأحمد حسين المهيري.

الرحلة الثالثة: شهران في عمالة قسنطينة 1927-1928 لسعيد أبو بكر.

الرحلة الرابعة: الجولة الجزائرية 1927 للطيب بن عيسى.

الرحلة الخامسة: جولة من التلال إلى الرمال 1932 لحمزة بوكوشة.

لقد جاءت رحلات هؤلاء الباحثين إلى الجزائر في تلك الفترة التي حاول فيها الاحتلال الفرنسي طمس هوية الشعب الجزائري الذي بقي محافظا على مبادئه وثقافته من خلال وجود ثلّة من العلماء والأدباء الجزائريين والتونسيين الغيورين على جزائر العروبة والإسلام. ويندرج كتاب (خمس رحلات إلى الجزائر) ضمن هذه الجهود الحثيثة التي يهمّها الاطمئنان على وضع الجزائر بأن شدّ هؤلاء الباحثون الرّحال إليها، وتواصلوا مع أهلها فتأثّروا بهم وأثّروا فيهم ومن ثمة نقلوا تجاربهم التي تدخل في إطار التفاعل الثقافي بين البلدين من خلال هذا الكتاب.

ويهدف هذا البحث إلى تبيان الدور الكبير الذي يلعبه أدب الرحلات في التواصل الثقافي بين شعوب المغرب العربي التي تشترك في المقومات الحضارية والثقافية، ومعرفة مدى إسهام الرحّالة المغاربة في نقل صورة الجزائر إلى الآخر على اعتبار أنّها تمثّل جسر عبور يربط بين دول المغرب العربي، وكذا الكشف عن كيفية إسهام هذه الرحلات في التلاقح والتخصيب الذي يتم بين حضارات الأمم والشعوب من منطلق التأثر والتأثير الحاصل بين الرحالة والآخر. وعلى هذا الأساس يمكن طرح الأسئلة التالية: هل استطاع

هؤلاء الرحّالة أن يتواصلوا ثقافيا مع علماء الجزائر؟ وكيف أسهموا في التفاعل الثقافي والفكري بين البلدين؟ وما هي النتائج المترتبة على ذلك الترابط بين الثقافتين؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها ارتأينا تقسيم البحث إلى العناصر التالية:

1- ماهية الرحلة وأهميتها في التواصل الثقافي بين البلدين:

1-1 تعريف الرحلة:

لغة: جاء في لسان العرب في مادة رحل : رَحَل الرجلُ إذا سار، ورجل رَحْول وقوم رُحَّل أَي يرتحلون كثيراً، والتَّرحُّل والارتحال : الانتقال وهو الرِّحْلة.[1]

اصطلاحا: يعرّف أدب الرحلة بأنه: "ذلك النثر الأدبي الذي اتخذ من الرحلة موضوعا، أو الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري مميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة" فهي منابع ثرية بمختلف مظاهر الحياة، ومفاهيم أهلها على مرّ العصور. فأدب الرحلة إذن هو الأدب الذي يصور فيه الكاتب الرّحالة ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلته لأحد البلدان.

وقد عرف العرب أدب الرحلة منذ القدم، إذ دوّن كثير من رحّالهم أخبار سفرهم وتنقّلهم، فذكروا المدن التي نزلوا فيها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلّبوا عليها، ووصفوا البلاد ومزروعاتها، وسجّلوا مشاهداتهم عن صناعاتها وتجارتها، ووصفوا حياة سكانها.[2]

2-1 أغراض الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تحمّس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص لآخر، ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد، إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون[3]: دوافع دينية، علمية أو تعليمية،سياسية، سياحية أو ثقافية، اقتصادية، صحية...إلى غير ذلك من

الدوافع الأخرى. ومهما يكن الغرض من الرّحلة فإنّها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد والجماعة.

1- 3 قيمة الرحلات:

المتأمّل للرحلات يلاحظ بأنّها تمثّل نوعا من الحركة، وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة. لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأمّلاته عن نفسه وعن الآخرين. وقد اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتنوّعت مادة الرحلة، ومع ذلك فإنّ كتابات الرّحالة، أيًّا كانت توجّهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية، تصوّر إلى حدّ كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها.[4]

وإذا كانت الثقافة هي "النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك، وكلّ ما يبنى عليه من تجديدات، أو ابتكارات أو وسائل في حياة الناس(...) هي نتاج العقل الإنساني من تفكير وعلم وأدب وفن وتقانة"[5] فإنّ الحديث عن تداخل الثقافات يعني تداخل كلّ العناصر المكوّنة لتلك الثقافات. وقد ساعد على هذا التداخل والتفاعل كون الإنسان اجتماعي بفطرته ينزع دائما نحو التطور والتغيير خصوصا وأنّ "الحياة البشرية بطبيعتها متحوّرة... تاريخ... إنها حياة ذات تاريخ وطبيعة تفاعلية تحوّلية (...) هي التجربة الإنسانية القائمة على الفعل/الفكر، وعلى التفاعل الذي هو جوهر روح المعاشرة الاجتماعية وجذر نشأة الثقافة. فالثقافة منتج اجتماعي لتكييف فرص ومناخ الفعل والتفاعل الاجتماعيين؛ فتكون الثقافة إطارهما وليست علّتهما... ومن ثم فإنّ دراسة ثقافة مجتمع ما باعتبارها نتاجا مجتمعيا تاريخيا؛ تعني بالضرورة دراسة الفعل

الاجتماعي وعلاقات التفاعل داخل المجتمع، ومع مجتمعات خارجية."[6] ويعتبر هذا مؤشّرا على العلاقات الوطيدة بين الأشخاص والدول ودليلا على التنوّع والتعدّد الذي يؤدّي إلى الرقي والتطور لأنّ "ارتقاء حياة الإنسانية في شتى المجتمعات، وعلى مدى التاريخ، رهن تنوّع الثقافات وتفاعلها، وتباين الرؤى، واختلاف الآراء، وتوافر آلية اجتماعية تكفل التفاعل الإيجابي."[7]

والأكيد أنّه كلما ازدادت درجة التفاعل وعمق الترابط بين الأفراد والجماعات ازداد التواصل والتبادل المعرفي بين الشعوب ممّا يساهم في تحقيق التطور والرقي والتنوّع الثقافي.

2- التفاعل والاحتكاك مع علماء الجزائر ومشايخها:

إنّ طرق الاتصال والتواصل والتفاعل تكون أقوى بالاحتكاك المباشر مع العلماء؛ حيث يتمّ تبادل الآراء والمعارف والثقافات المختلفة بين الأشخاص والشعوب والأمم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)﴾.[8]

من هنا فإنّ الرحلة تعدّ من أهم الوسائل التي تساعد الإنسان على التنقل من مكان لآخر وتجعله يتعرّف على الآخرين ويستفيد من تجاربهم وبخاصة إذا كانت في طلب العلم، وفي هذا الصدد يؤكّد ابن خلدون على أنّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم؛ ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارةً علما وتعليما وإلقاء، وتارةً محاكاة وتلقينًا بالمباشرة، غير أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا. فالرّحلة، إذا، لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.[9]

والمطّلع على هذه الرحلات الخمس يلمس حرص هؤلاء الرّحالة على لقاء شيوخ وعلماء الجزائر قصد مجالستهم والاستفادة منهم ومن مجالسهم العلمية التي تقام في

المساجد والزوايا والدور... الخ، وكان الناس بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة يتوافدون إليها بكثرة من داخل الوطن وخارجه. وهذا يعني إدراكهم بأنّ العلماء يمثّلون العنصر الفعّال في عملية توطيد العلاقات وخلق جوّ من التواصل والحوار والتبادل الثقافي بين البلدين. وقد جاءت رحلة الشيخ **محمد الخضر بن الحسين** أساسا من أجل الالتقاء بالعلماء ومحاورتهم حول المسائل الدينية. وقد اختار لها شهر رمضان لهذا الغرض.[10] وفي هذا السياق يرى (محمد صالح الجابري) أنّ لهذه الرحلات الخمس "هدفا موحّدا يتمثّل في الاطّلاع على أحوال الجزائريين، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية والفكرية، والاتّصال بالعلماء والمثقّفين، وتبادل وجهات النظر معهم، وتجديد الصّلة بهم إلاّ أنّ دوافع الرّحلة اختلفت من رحّالة إلى آخر.[11] كما ساعدت هذه الرّحلات في التنويه بالمكانة العلمية للقائمين على إلقاء الدروس التعليمية والوعظية والدينية بالمساجد الجزائرية التي يزورونها. وقد حضر معظم أصحابها حلقات علمية، وبخاصة الشيخ **محمد الخضر بن الحسين** الذي كان حرصه منصبّا على حضور الدروس التي تُلقى بهذه المساجد، ومساجلة أصحابها في المسائل الفقهية العويصة. وقد أثنى ثناء عظيما على علماء الجزائر ومشايخها، وأبدى إعجابه بطرق حلّهم للمسائل الاجتهادية وتمكّنهم من الموضوعات الدينية.[12]

وقد كان للعلماء دور بارز في تعزيز الصلات العلمية وتجسيد التفاعل الثقافي بين الجزائر وتونس؛ فمن خلال هذه الرّحلات الخمس جرت بين هؤلاء الرّحالة محادثات وحوارات مع أهل الجزائر سمحت بتبادل الخبرات والمعارف ومن أمثلة ذلك ما يحكيه **محمد الخضر بن الحسين** عن زيارته إلى مدينة سوق أهراس التي يحدّثنا فيها عن مسامرة علمية- في مسجد صلّى فيه صلاة الجماعة- في مسائل بعضها في العبادات وبعضها في غير ذلك. وبعد انتهاء المسامرة كانت له محادثة خاصة مع ذلك المدرّس وهو الشيخ(محمد الصالح بن الشايب) "العدل بالمحكمة القضائية. ومما جرى في خاتمة

المجلس لفظُ (منطاد) فقلنا هو الآلة التي تطير في الهواء المسمّاة بالبالون، وهو لفظ عربي، في قاموس المحيط للفيروز أبادي الانطياد: الارتفاع في الهواء صُعُدًا، والمنطاد البناء المرتفع."[13]

ومن المشايخ العلماء الذين التقى بهم نذكر: الشيخ حمدان بن الونيسي أشهر علماء مدينة قسنطينة، والعالم أحمد بن الحبيبات، وهو رجل عليه سمة أهل الخير والصّلاح، وكذلك التقى في مدينة باتنة مع الشيخ أحمد البوعوني والشيخ إبراهيم بن السلمي ولكلّ منهما فصاحة منطق وسجية نزاعة للأدب، ولأوّلهما شعر جيّد. وقد قضى معهما ثلاث ساعات في السمر كانت لتلك الليلة نطاقا جميلا. ولمّا أزمع الانصراف ووقف لوداعهم قال: "تكدّرت خواطرهم لانصداع إيوان تلك المؤانسة وتقطّع أسبابها، فألقوا على مسامعنا عبارات يتمشى التحسر والتأسف في مناكبها، فقلنا لهم العَوْدُ أحمد أنشدنا لهم:

لا تَأْسَ يا قلبُ من وداعٍ

فإنَّ قلب الوداع عادا "[14]

هكذا يتّضح لنا مدى غزارة علم وثقافة الشيخ **محمد الخضر بن الحسين** التي تترجمها هذه اللغة الفصيحة، وكذلك نستشف حسن أخلاق أهل الجزائر ومشايخها ودرجة اشتياقهم إلى العلماء للنّهل من علومهم المختلفة. كما التقى في العاصمة بالشيخ عبد الحليم بن سماية الذي كان مدرّسا بالمدرسة الثعالبية ويعدّ من أفاضل علماء الجزائر. وقد التقى أيضا بالشيخ محمد بن شنب، أحد المدرّسين بالمدرسة الثعالبية، يقول في ذلك: "فأخذنا معه أطراف محاورة أطلعتنا على ما له من النباهة التامة، والتفقّه في الأمور الحديثة زيادة على ما له من التفنّن. ثم انصرفنا وصحبنا أحد الفضلاء فذكر لفظ (مجلة) فاستنبأنا عن معناه لغة فسقنا إليه عبارة القاموس: مجلة بالفتح، الصحيفة فيها الحكمة، أو كلّ كتاب."[15]

وقد اجتمع الرحالة **أحمد حسين المهيري** بثلّة من علماء مدينة تبسة وأدبائها، يصف ذلك قائلا: "فألفيناهم من خيار القوم، ومن المتضلّعين في الفنون والآداب، مع شدّة التمسك بالدين الحنيف كثّر الله من أمثالهم، وأعانهم على ما أنيط بعهدتهم. كما اجتمعنا بأعضاء الجمعية الخيرية ورئيسها فوجدناهم قائمين بأعمال البر والإحسان أتمّ قيام، الأمر الذي يوجب لهم الشكر والثناء، ويخلّدهم في بطون التواريخ آثارا جميلة."[16]

هكذا يتجاذب أصحاب هذه الرحلات أطراف الحديث مع علماء الجزائر مما يتيح لكلّ واحد منهم الاطّلاع على ما لدى الآخر من فكر وعلم وفن وأدب...الخ، ومن ثمة يحدث التأثير المتبادل بين الرّحالة وبين بعض الأعلام والشخصيات التي كانت لها مكانتها المرموقة في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية الجزائرية. وقد أسهمت هذه الرحلات في الكشف عن صور عدّة من التفاعل والاحتكاك مع علماء الجزائر ومشايخها وتمثّل المساجد والزوايا ودور رجال العلم المراكز الأساسية لهذا الاحتكاك. كما تزخر بكثير من الأخبار عن المدن والأسواق والعادات والتقاليد التي تتعلق بواقع المجتمع الجزائري عن طريق المشاهدة والمعاينة الشيء الذي كان له دور كبير في تحقيق التواصل الثقافي بين الرّحالة وأهل الجزائر. فالرّحلة، إذًا، تعمل على انفتاح الدول بعضها على بعض ممّا يفتح مجالا واسعا أمام شعوبها وعلمائها للتحاور في مختلف القضايا الهامة والمشتركة بينهم في شتى مجالات ونواحي العلوم، وهنا يكون التفاعل والتأثّر والتأثير بشكل فعّال.

3- حضور القضايا الاجتماعية والدينية والتربوية:

3-1 حضور القضايا الاجتماعية:

من الموضوعات الشائعة في أدب الرحلات أن يقوم الرحالة برصد الظواهر الاجتماعية التي تصادفه في رحلته وتتبّع أوضاع المدن التي ينزل بها، كما يتطرّق إلى وصف عادات وتقاليد أهلها، إضافة إلى نقل جوانب مهمّة من حياة الإنسان في تلك

الفترة. ومن بين قضايا المجتمع التي نجدها في الكتاب نذكر بعض الصور التي تعكس واقع الحياة اليومية آنذاك كزيارة أضرحة العلماء والأولياء الصالحين التي يوليها الناس اهتماما كبيرا في مختلف ربوع الجزائر مثل ضريح عقبة بن نافع الفهري الذي زاره الباحث **أحمد حسين المهيري** أثناء مروره ببسكرة وهو يوجد بمدينة سيدي عقبة، حيث يقول: "يتبرّك به المسلمون ويقصدونه بالزيارة من أقصى الجهات، وقد زرنا ضريحه وتبرّكنا به، وله مسجد ملاصق في غاية الإحكام والاتّساع والنظافة، وقد وسع في نطاقه أخيرا، والمسجد عندما يدخله الزائر ينشرح له صدره من البهرجة والترتيب."[17] ومما يزيد الناس تشويقا لزيارة ضريحه والتبرّك به أنّه من الصحابة الأوائل الفاتحين لبلاد المغرب العربي، يقول: "ولا ريب في أنّ ضريح ذلك الصحابي الشهير من أشرف المزارات في بقاع إفريقية وأبركها لاحتوائه على جسد ذلك الصحابي الشهيد الذي وضع أول حجر إسلامي بالمغرب، حيث أسّس مدينة القيروان وجامعها الأعظم."[18]

والملاحظ أنّ بعض الأوروبيين قد تأثّر بعادات السكان وهذا ما يرويه لنا **سعيد أبو بكر** عند زيارته لمدينة عنابة، يقول: "(جان مانكا)هذا الرجل الأوروبي يظهر أنّ عوائد الجهة أثّرت عليه كثيرا فأصبح له اعتقاد لا نظير له في الولي سيدي "بوحديد" الذي يبعد عن المدينة ببعض الأميال. وهو يذهب إليه في كل عام حاملا بين ذراعيه ديكا عظيما، عادة القوم، وهناك يذبحه ويطرح ريشه في زوايا الزاوية، ويسلمه بعد ذلك إلى القاطنين حوله ليأكلوه. وقد وقع لومه على ذلك فعزم على إبطال هذه العادة، ولكنه عندما جاء الأجل ولم يفعل سقط مريضا ولم يقم إلا بعد أن ذبح الديك باسمه بين جدران الزاوية."[19]

وقد رصد أيضا بعض العادات المنتشرة في المجتمع النسوي عند زيارته لبلدة العين البيضاء التي يقول بأنّها "البلدة التي يمكن للإنسان أن يشاهد فيها المرأة أكثر من غيرها، ولو أنّ هاته المرأة تختلف عن نساء المدن الجزائرية وحتى نساء العائلات الكبيرة

في البلدة نفسها، وعلى كلّ حال فالذي يظهر على امرأة العين البيضاء هو كثرة الوشام الأمر الذي أثّر على جمالها، وأفسد لها وجهها رغما عن كونه يظهر عليه الذوق السليم ودقة الصناعة. وأكثر ما تستعمل المرأة هناك الوشام في خدّيها وإذا أضافت عليه شيئا ففي جبهتها وفي ذقنها."[20] وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ هناك من يخالف هذا الرأي ويرى بأنّ الوشم يمثّل عنصرا مهمّا في إبراز جمال المرأة وزيادة حسنها ورونقها.

غير أنّ **الطيب بن عيسى** صعب عليه أن يصف نساء قسنطينة أو يصف لباسهن لأنّه لم يشاهد امرأة واحدة طوال المدّة التي قضاها في المدينة وهذا دليل على أنّ أهلها يقدّسون الحجاب ويحافظون على التقاليد العربية الإسلامية.[21]

ومن الأمور التي لاحظها **سعيد أبو بكر** وأثارت تعجّبه في مدينة العين البيضاء أنّه لمّا حاول أن يسمع حديث الناس ليفهم منه بعض الأخلاق والعادات لم يفهم شيئا. يجتهد بعد ذلك ولكن يستحيل أن يفهم ولو كلمة واحدة. وذلك لأنّ أولئك الأقوام لهم لغة مخصوصة يتكلّمونها فيما بينهم، والغريب في لغتهم أنّ الإنسان لا يمكنه أن يسمع ولو الحروف التي ينطقون بها فضلا عن الجمل وأنّه ما كان ليتوصّل إلى بعض ألفاظ منها لولا أن استعان بالصديق عبد الرحمان بن عزوز الذي كان يكاد لا يفارقه، ولكي يسمع الناس هذه اللغة ويدركوا غرابتها يمثّل أبو بكر ببعض الأمثلة: إذا أراد أن يقول لك: "كيف حالكم" مثلا قال لك:"مُوكشا هلّيثْ" بكسر الهاء وتشديد اللام. وإذا أراد أن يقول لك: "متى قدمت" قال لك: "مَالْمي التُوسيذْ"...[22] فأهل مدينة العين البيضاء بقوا متمسّكين بعاداتهم وتراثهم اللغوي ومن ثمة حافظوا على هويّتهم وصمدوا في وجه التفرنس، كما أنّ الباحث اندهش من لهجة المجتمع الأمازيغي (الشاوي) التي يسمعها لأول مرة، على ما يبدو، وقد تأثّر بها ممّا جعله يحاول أن ينقلها إلى القارئ التونسي الذي سوف يطّلع عليها ليتأثّر بها هو الآخر، ومن ثمة يحدث التفاعل بين شعبي هذين البلدين.

ومن القضايا التي رصدها **سعيد أبو بكر** وتأسّف على انتشارها في المجتمع ضياع جانب مهم من الشبيبة في الشوارع والأزقّة، وكثرة اللمّاعين(ماسحي الأحذية) في ساحة باب الوادي، فلا يكاد الإنسان يصل إليهم حتى يحيطوا به وهم يقولون (نسيريلك) أو (تستيرجو)، ويعبّر عن أسفه الشديد عندما يراهم صغارا في مقتبل العمر وفي زهرة الشباب، وهم يحملون ذلك الصندوق المشؤوم مع بشرة نقية ووجه صبوح.[23] وهذا يعطينا صورة عن البطالة والفقر المتفشيين في أوساط المجتمع الجزائري آنذاك.

إنّ القارئ لهذا الكتاب يجده يكشف النقاب عن المعالم الحضارية والإنسانية التي نلمسها في بعض المظاهر الاجتماعية المتأصّلة في الشعب الجزائري كالكرم واحترام الأجانب وحسن معاملتهم، يقول الشيخ **محمد الخضر بن الحسين** عن ذلك في زيارته إلى الجزائر العاصمة: "دعانا السيد مصطفى بن الأكحل إلى منزله، وهو من أفاضل القوم، لا يحلّ بالبلد غريب ولاسيما إن كان من أهل العلم إلاّ وأكرم مثواه وأحسن ضيافته، وحضر تلك المأدبة جماعة من أعيان العلماء مثل العالم الفاضل الشيخ بوقندورة، والشيخ عبد الحليم، والشيخ محمد بن مصطفى خوجة فنضحوا بماء لطافتهم عن صدورنا وحشة الاغتراب، وتساقط من بين مذكّراتهم العلمية ما تلذّه عيون الألباب."[24] ويقول في موضع آخر: "التقينا بالفاضل البارع السيد "يوسف بن سماية"، فوقفنا معه موقف التسليم والوداع أمدا لم يتجاوز 20 دقيقة، وقد لاح لنا على خطاباته ملاطفة جميلة تشفّ عن جودة فكرة وحلاوة في الأخلاق."[25] ويتّفق مع هذا الرأي **أحمد حسين المهيري** الذي زار مدينة تبسة واجتمع ببعض السادة، وهم: السيد صادق العقيد الصفاقسي، والسيد الصادق بن عياد، والسيد نابي عمر، الكاتب الشهير، والسيد علي بن عباس بن حمانة، والسيد عمر بن عبد السلام الوكيل، والسيد أحمد الجدري فأظهروا له العطف، والبشاشة، وحسن الاستقبال الأمر الذي جعله يشعر بأنّه مدين لهم على الدوام عمّا لقيّه من الحفاوة والإكرام بتبسة.[26]

لعلّ هذه الأمثلة تبرز بعض الفضائل والخصال الحميدة التي يتميّز بها الجزائريون والتي جعلتهم يؤثّرون على كلّ من ينزل عليهم ضيفا ممّا يترك في نفسه انطباعا حسنا عن الجزائر وأهلها ويسهّل التبادل والتفاعل الثقافي بين البُلدان المغاربية.

2-3 حضور القضايا الدينية:

استطاع هؤلاء الرّحالة أن يرصدوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم حول بعض القضايا الدينية، فمن يطّلع على هذه الرحلات يجدها تبرز"عناية الجزائريين بالمساجد، بما يليق بهذه المعالم من مكانة دينية وعلمية. وقد وصفها بعضهم بدقة وتفصيل، وأشاد بما يتحلّى به الجزائري من توقير للإمام والقاضي وحارس المسجد."[27] فقد استطلع **محمد الخضر بن الحسين** بعض معالم مدينة قسنطينة الدينية وآثارها القديمة والحديثة، وشاهد فيها "مدرسة إسلامية معدّة لتخريج القضاة والعدول. وثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة: الجامع الكبير، و الجامع الأخضر، والآخر يسمى بجامع سيدي الكتاني. وفي هذا الجامع منبر من الرخام مرقوم فيه بيت من الشعر يتضمّن اسم مؤسسه وتاريخ تأسيسه وهو:

بنى منبرًا بِالعزِّ، والنَّصرُ صَالِح

لهُ سُبل الخَيرات، تَاريخُهُ رشد. (*)

وأسّس الجامع الأخضر سنة 1256هـ وبه مكتبة عمومية تحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة."[28] وهذا يثبت مدى تمسّك الجزائريين بدينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية والإسلامية.

ومن المعلوم أنّ فرنسا سخّرت كلّ طاقاتها للقضاء على الهُوية الجزائرية، وقد عكف بعض ضباطها(**) على دراسة الآثار الرومانية القديمة، وهذا سعيا لإحياء تاريخ الاحتلال الروماني قصد تبرير الاستعمار الفرنسي، وكانت مهمّة هؤلاء الضباط لا تقتصر

على مراقبة الأهالي أو الإشراف على سير شؤونهم الخاصة والعامة، بل كانت مهمّتهم أعمق من ذلك إذ تمثّلت في البحث عن كيفية ربط الجزائر بفرنسا اقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا وثقافيا، أي كيف يمكن الاطّلاع على هذا البلد الجديد والكشف عن أسرار مجتمعه ثم تنوير السلطات العليا بكلّ صغيرة أو كبيرة تتعلق بهذا القطر؟! ومن خلال ذلك تحقيق (الاستعمار الفكري) بهدف استئصال هذا المجتمع من قيمه ودينه وتقاليده.[29] وهذا كلّه لنشر الثقافة الاستعمارية وإضعاف الثقافة العربية الإسلامية، بل الرغبة في القضاء عليها نهائيا.

يقول **سعيد أبو بكر** عند زيارته لمدينة بسكرة أنّه رأى في وسط إحدى الساحات الكبرى تمثالا عظيما للكاردينال "لافيجري"(***) حاملا "بإحدى يديه الكتاب المقدّس وبالأخرى صليبا كبيرا، ومكتوب على الرخامة التي وُضع عليها هذه الكلمات باللغة الفرنسوية: "الجزائر إلى لافيجري". وربما كان معناه أنّ الفضل في فتحها إليه. وهو ملتفت إلى المستشفى الذي كان أسّسه في بسكرة والذي يبعد عن البلاد بميل واحد تقريبا..."[30]

ومما عرف به لافيجري أنّه يريد تنصير كلّ إفريقيا، ويعتبر أنّ الإسلام هو المسؤول الأول على بؤس الشعب الجزائري ماديا ومعنويا. وعليه يجب على فرنسا أن تترك الحرية للمنصّرين ليدمجوا الجزائريين في حياة الفرنسيين أو أن تطرد هذا الشعب نحو الصحراء بعيدا عن العالم المتحضّر.[31]

هكذا عمل الاستعمار على محاربة القيم الثقافية والحضارية المتأصّلة في الجزائريين.

لقد كانت المساجد والزوايا العدو الحقيقي للمستعمر الذي أدرك أنّ دورها يكمن في نشر الوعي ومحاربة الجهل وسط أبناء المجتمع الجزائري وهذا يشكّل خطرا على

مصالحها بالجزائر لذا عملت على تهميش دورها والتركيز على بناء المدارس الحكومية التي تعلّم الفرنسية للجزائريين وهذا للحدّ من انتشار الإسلام واللغة العربية بالجزائر.

ومهما يكن من أمر فإنّ الزوايا لها دور كبير في مقاومة الهيمنة الاستعمارية على الرغم من العيوب التي تؤخذ عليها وعلى بعض شيوخ الطرق ومساعديهم الذين كانوا يمارسون نوعا من الاستبداد على الأهالي البسطاء لكنّ ذلك لم يمنع الزوايا من الوقوف في وجه حركة الاندماج الرامية إلى تذويب المجتمع الجزائري المسلم في سكان فرنسا المسيحيين، فقد ظلّت ملجأً لما تبقى من عاداتنا وتقاليدنا، وساهمت في نشر اللغة العربية وتعميم حفظ كتاب الله.[32] وممّا سهّل ذلك طبيعة الشعب الجزائري الحر الذي لا يقبل الظّلم "فالأوصاف الحميدة المتأصّلة فيه والتي سرت في عروقه سريان الدم في مجاري الشرايين قلّ أن توجد في شعب سواه، وأخصّها رسوخ عقيدتهم وتمكّن ثقتهم في الله ومحافظتهم على تقاليدهم وعاداتهم(...) والتي تتفق تماما مع الحضارة الإسلامية."[33] هذا ما يؤكده **حمزة بوكوشة** الذي يرى أنّ العاصمة ظهرت بمظهر ديني لم يعهد بها من قبل منذ حلّ بها الأستاذ الطيّب العقبي الذي أثّر في الأمة بدروسه ومحاضراته التي يلقيها على الجماهير فانتفع به خلق كثير، واتّبعوا الصلاة، وتركوا الشهوات.[34]

ومن القضايا الدينية التي نجدها في ثنايا هذا الكتاب تلك المحاورات التي دارت بين **محمد الخضر بن الحسين** وبين جماعة من أعيان تجار مدينة تبسة لهم عناية بالمسائل التي تعرض لهم في أمور التجارة مما يدل على متانة الديانة والتوقي من الشبهات. منها قول بعضهم:"ما تقولون في رجل اقترض مالاً من عند آخر واشترى به أشياء تجب فيها الزكاة فيما اشتراه بمال القرض إن مرّ عليه الحول أو لا تجب لأنه مدين". فكان الجواب: "إنّ المدين الذي لا تجب عليه الزكاة هو الذي ليس له من الملك ما يسدّ به خلة ما عليه من الدين، أما إذا كان مالكا لما يجعله في مقابلة ذلك الدين فلا يعدّ الدين مُسقطا للزكاة كما في الموطّأ".[35] وقد التقى في مدينة عين البيضاء

بالشيخ"أحمد بن ناجي" الذي دعاه إلى المسجد الذي يدرّس فيه المختصر الخليلي، يقول في ذلك: " فلما وافينا المسجد وجدناه غاصًّا بتلامذة ذلك المدرّس وغيرهم ففسحوا لنا مقعدا في المحراب، ثم قام رجل منهم ووزع أجزاء نسخة قرآن على الحاضرين، وهذه عادتهم في كلّ ليلة جمعة. وبعد ختامها انتدب منّا ذلك الشيخ أن نذاكرهم بتقرير بعض الأحاديث فوقع اختيارنا على حديث "سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظلّه إمام عادل...الخ" (...) وأسبغنا المقال في شأن التوداد والتعاون عند قوله: "ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه". وشاهدنا من الحاضرين رغبة مفرطة وإقبالا زائدا على تلقّي التّعاليم الدينية".[36]

هذه الأمثلة وغيرها تعدّ مظهرا من مظاهر النشاط الفكري والحركة الثقافية التي استعرضها هؤلاء الرّحالة انطلاقا من تجاربهم الخاصة ومعارفهم العلمية من خلال محاوراتهم مع علماء الجزائر ومشايخها مما كان له الأثر البالغ في تبادل العلوم الدينية والفقهية بين علماء البلدين.

3-3 حضور القضايا التربوية:

لقد أبرزت هذه الرحلات بعض الجوانب المتعلّقة بالتربية والتعليم في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى" تجهيل الأمة الجزائرية وإبعادها عن تراثها الفكري وتحطيم المقومات الأساسية في مجالات التعليم والثقافة والصحافة والأدب والتأريخ واللغة العربية حتى يقضي على القومية العربية والشخصية الإسلامية، فلا يعرف الجيل الجديد العوامل الحية للأمة والكيان الجزائري العربي الإسلامي فيسهل عليه بلعهم وتقريبهم وفَرنستهم."[37]

وعلى هذا الأساس سخّرت فرنسا التعليم لخدمة أغراضها الاستعمارية في الجزائر؛ فعملت على إيجاد نوع من التعليم يفرغ الشخصية الجزائرية من مضمونها، ويقضي على روح المقاومة، وحرصت على نسف مقومات المجتمع الجزائري بضرب

الإسلام واللغة العربية، وتجهيل السكان، وإفساد أخلاقهم، وتمكين الديانة المسيحية والثقافة الفرنسية. وقد اعتمدت السياسة التعليمية الاستعمارية على أربعة قواعد هي: محاربة التعليم العربي الإسلامي، الفرنسة، التنصير، الإدماج.[38] يقول **سعيد أبو بكر** عند زيارته لمدينة عنابة "يكاد الإنسان يحسّ بأنّ الكتابة والقراءة العربية قد أصبحتا مفقودتين، ولقد يسهل على البعض من سكانها أن يعبّر باللغة الفرنساوية عن مقصوده بصورة يستحيل عليه أداؤها باللغة العربية".[39]

هكذا اعتبرت فرنسا اللغة العربية لغة أجنبية والفرنسية هي اللغة الرسمية، وكان ذلك موقفا واضحا من الدين الإسلامي أيضا؛ لأنّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة التي كتب بها تراث الدولة الإسلامية، ولكن هذا لا يعني استغناء الفرنسيين عن اللغة العربية؛ فقد فهموا أنّ حاجتهم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تنجز إلا باستعمال هذه اللغة. وقاموا من أجل ذلك بمحاولتين، الأولى هي إهمال تدريس العربية في المدارس القديمة، وذلك بقطع مصادر الوقف عنها، والثانية هي الاكتفاء بتدريس العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من الفرنسيين. وقد تركوا المسلمين يحفظون القرآن وحده في الكتاتيب دون دراسة للعلوم المساعدة على فهمه وتفسيره وهكذا يبقى القرآن في الصدور دون الكتب ودون تطبيق تعاليمه على الحياة العامة. وكادت تختفي العلوم العربية(النحو والصرف والبلاغة والإنشاء والعروض...) والعلوم الدينية (الفقه والتوحيد والحديث والتفسير...) لولا وجود الزوايا القليلة التي واصلت تعليم تلك العلوم بطريقة تقليدية.[40]

غير أنّ أحسن مظهر يدلّ على رقيّ ذوق الجزائري وكمال استعداده إلى الأخذ بأسباب النهوض هو تأسيسه لنادٍ ضخم: (نادي الترقي) الذي "يمثل تنسيقا وتنظيما من أعلى طراز، وهو فخر الشبيبة ومظهر قابليتها للصعود إلى أوج التقدّم(...) للتضامن على إحياء لغة البلاد بالمحاضرات والمسامرات التي تلقى به من عظماء الرجال في المواضع

المختلفة. ومنذ أمد قريب كان الجزائري يستبعد الإقدام على الخطابة بلغة الضاد ارتجالا، واليوم أصبح يخطب ويحاضر في محتشد عظيم بلا كلفة وبأقلّ تلعثم."[41]

ومن أمثلة المحاورات العلمية التي تجسّد الصلات الفكرية والروابط الثقافية ما رواه **محمد الخضر بن الحسين** في زيارته إلى الجزائر العاصمة بأنّ الشيخ عبد الحليم بن سماية دعاه إلى داره وكانت بينهما مسامرة دامت ست ساعات، وفي خضم ذلك تمّ الخوض في شؤون المدرّسين، يقول:" فقلنا ليس المدرّس حقيقة من يلقي المسائل على حسب ما تحويه الأوراق جيّدها على رديئها، من غير أن يعرضها على محك النقد ويزنها بمعيار النظر، فإنّ من المسائل ما لم تُحط التآليف بتحقيقاتها واستخراج خباياها. فقال لي الشيخ مثال ذلك من فن البيان الاستخدام، فإنّ البيانيين يعدّونه من المحسنات اللغوية، ولا يبيّنون كيف يعود حسنه إلى المعنى ثم استرسل في بيان رجوعه إلى المعنى بكلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق والولوع بالكشف عن أسرار المسائل، دون الاكتفاء بأسرارها المجرّدة."[42]

وهكذا تستمر المحاورة بينهما ويتبادلان المعارف ويستفيد كلاهما من ثقافة الآخر. ثم التقى بالعالم الشهير الشيخ عبد القادر المجاوي الذي حضر درسه في المسجد، وكانت لهما مسامرة مع جماعة من التلامذة، وقد كانت **لمحمد الخضر بن الحسين** شهادة في حق هذا الشيخ الذي تأثّر به واستفاد من طريقته في التدريس وراح يحاول إصلاح ما فيه من عيوب؛ إذ قال: "نستحسن من دروس هذا الشيخ اقتصاره في كلّ فن على تقرير مسائله التي يشملها موضوعه وعدم خلط بعضها ببعض. وقد كنت، عفاكم الله، ممن ابتلي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون، وأتوكأ في ذلك على أدنى مناسبة حتى أفضى الأمر إلى أن أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك مثلا، ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج، عقيمة من الإنتاج، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحًا."[43]

ينمّ هذا القول عن فكر راجح وروح صافية وأخلاق عالية يتمتّع بها الرّحالة **الخضر بن الحسين** الذي لم يكن ليعرف فضل أهل الفضل لو لم يكن منهم، فهو يعترف بمحاسن الآخر وينقد نفسه، بل يحاول أن يصلح حاله بما تعلّمه من الشيخ المجاوي، وهذه من صفات العلماء حقا.

واضح أنّ الرّحلة أسهمت في زيادة ثقافة الرّحالة وتهذيب سلوكه على اعتبار أنّ الثقافة هي: " كلّ ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها؛ فالتثقيف من معانيه التهذيب، أي أنّ الثقافة هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون."[44]بحيث يسهل على الرّحالة إيصال أفكاره إلى الشعوب الأخرى وتكوين أواصر متينة في مختلف الجوانب الدينية والعلمية والاجتماعية والأدبية...الخ، الشيء الذي يفتح باب التأثّر والتأثير بين الناس بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة. ويرى **محمد الخضر بن الحسين** أنّ "لهذا الشيخ أيضا خلق عظيم نحمده عليه، وهو سلوكه في معاملة التلامذة طريقا وسطا لا ينحطّ عن مكانة عزّة النفس، ولا يرتفع عن سماحة التواضع، تحمله عواطف النسب العلمي عن العناية بشؤونهم، وبذل الوسع في قضاء مآربهم، ويصدّه علوّ الهمّة عن مجاراتهم فيما يزري بخطّته الشريفة."[45] فهذه هي الصفات التي يجب أن تتوافر في المعلّم والمدرّس لكي ينجح في أداء مهمّته النبيلة.

كلّ هذا يعطينا صورة عن التفاعل الناجم عن تواصل العلماء واحتكاك بعضهم ببعض.

خاتمة:

خلاصة القول أنّ الرّحلة من الوسائل الهامة التي تساعد الإنسان على الاطّلاع على تجارب الآخرين وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وإيصال أفكاره وتراثه إلى المجتمعات الأخرى ليطّلعوا عليها ويتفاعلوا معها فيتمّ التلاقح بين ثقافات الأفراد والشعوب وبذلك

يزيد مخزونهم الفكري والمعرفي وبالتالي يقطعون أشواطا كبيرة نحو التقدم والرقي والازدهار.

وما يمكن قوله عن هذه الرحلات الخمس إلى الجزائر أنّها مكّنت أصحابها من التواصل مع إخوانهم الجزائريين ومخالطة أهلها وفهم ومعرفة الثقافة الجزائرية آنذاك والاحتكاك بعلمائها مما سمح بتبادل وتوسيع المعارف، ونقل كلّ ذلك إلى الأشقّاء التونسيين عن طريق نشر ما كُتب عن هذه الرحلات في الجرائد التونسية الأمر الذي يسهّل عملية الاطّلاع عليها من طرف أكبر عدد ممكن من القرّاء التونسيين الذين يتفاعلون هم بدورهم مع الثقافة الجزائرية.

كلّ ذلك شكّل مجالا خصبا للتفاعل الثقافي القائم على مبدأ الأخذ والعطاء بين الجزائر وتونس.

*** *** ***

الهوامش:

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر،(د.ط)، بيروت، لبنان، مج11، (د.ت)، ص: 276 -279.

[2] ينظر: وفاء إبراهيم يوسف زبادي: الأجناس الأدبية في كتاب(الساق على الساق في ما هو الفارياق) لأحمد فارس الشدياق، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2009م، ص: 134.

[3] يُنظر: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1423هـ، 2002م، ص: 19-20.

[4] يُنظر: حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 1989م، ص: 15.

[5] حسن شحاتة، زينب النجار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، ط1،القاهرة، 1424هـ، 2003م، ص: 162.

[6] مايكل كاريذرس: لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير1998م، ص: 10.

[7] المرجع نفسه، ص: 7-8.

[8] سورة الحجرات، الآية رقم 13.

[9] ينظر: ابن خلدون: مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدّرويش، دار البلخي- مكتبة الهداية، ط1، دمشق، سوريا، ج2، 1425هـ/2004م، ص: 358.

[10]ينظر: محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، تقديم: محمد صالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2004م، ص: 22.

[11] ينظر: المصدر نفسه، ص: 14.

[12] ينظر: المصدر نفسه، ص: 22 -23.

[13] المصدر نفسه، ص: 28-29.

[14] المصدر نفسه، ص: 33-34.

[15] المصدر نفسه، ص: 36.

[16] المصدر نفسه، ص: 51.

[17] المصدر نفسه، ص: 60.

[18] المصدر نفسه، ص: 62.

[19] المصدر نفسه، ص: 85.

[20] المصدر نفسه، ص: 96.

[21] ينظر: المصدر نفسه، ص: 72.

[22] ينظر: المصدر نفسه، ص: 96-97.

[23] ينظر: المصدر نفسه، ص: 71.

[24] المصدر نفسه، ص: 39.

[25] المصدر نفسه، ص: 41.

[26] ينظر: المصدر نفسه، ص: 51.

[27] المصدر نفسه، ص: 22.

[*] البحر الطويل، كلمة رشد مجموع حروفها بحساب الجمل عند المغاربة يساوي: ر200 + ش1000+ د4=1204. ينظر: محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، هامش ص31.

28 = المصدر نفسه، ص: 31.

[**] مثل النقيب بيان(Payan): أحد ضباط المكاتب العربية، مارس وظيفته في مكتبي: باتنة وبرج بوعريريج، له مقالات وكتابات في علم الآثار.(يُنظر: صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال،دار العلوم للنشر والتوزيع،(د.ط)، عنابة، الجزائر، 2005م، ص: 381-382.)

29 = ينظر: المرجع نفسه، ص: 381-382.

[***] أحد أقطاب الاستعمار الفرنسي ممن كان لهم دور كبير في التبشير والتنصير في شمال إفريقيا.

[30] محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص: 76.

[31] ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ج6، 1998م، ص: 125.

[32] ينظر: محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1404هـ، 1984م، ص: 66-67.

[33] محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص: 109.

[34] ينظر: المصدر نفسه، ص: 118.

[35] المصدر نفسه، ص: 29-30.

[36] المصدر نفسه، ص: 30-31.

[37] محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 2007م، ص: 262.

[38] ينظر: بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2006م، ص: 149 وما بعدها.

[39] محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص: 84.

[40] ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ج8، 1998م، ص: 13-14.

[41] محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص: 111.

[42] المصدر نفسه، ص: 36.

[43] المصدر نفسه، ص: 37-38.

[44] حسن شحاتة: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ص: 162.

[45] محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص: 38.